

« وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ
عَلَىٰ مَا رَزَقْتَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ نَكَلُوا مِنْهَا أُطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ * ثُمَّ لِيَقْضُوا تَشَهُؤَهمْ وَلِيُوَفُّوا ذُرْوَهُمْ وَيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ »

الكعبة الحجة



البيت العتيق : ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ {الحج-٢٩}

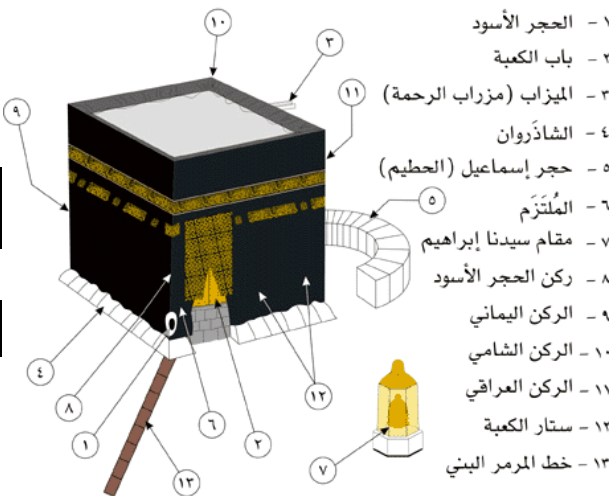
المسجد الحرام : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَجْلُوْا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ أَنْ صَدَّكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ {المائدة-٢}

البيت المعمور : وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ {الطور-٤}

البيت المحرم : رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ {إبراهيم-٣٧}

الكعبة المشرفة

(قبلة المسلمين)



حج البيت الحرام
٩٢
العدد الثاني

الكعبة بيت الله الحرام وقبلة المسلمين ؛ إليها يتجهون وبها يطوفون ، وإليها يأتون من كل فج عميق . وهي حرم آمن في بلد آمن . رفع قواعدها أبو الأنبياء إبراهيم في مكانها المعروف بقلب مكة المكرمة بأمر الله واختياره ، وساعده في ذلك ابنه إسماعيل . وبعدها أمره الحق تبارك وتعالى ، كما يحكي القرآن ، أن ينادي في الناس ليحجوا هذا البيت ويزوروه ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ... ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ ... ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ {الحج: ٢٧ - ٢٩} .

والكعبة بناء مكعب الشكل ، مبني بالحجارة الصلبة . ويبلغ ارتفاعها ١٥ م وطول ضلعها الذي فيه الميزاب والضلع الذي يقابله ١٠ م و ١٠ سم ، وطول الضلع الذي فيه الباب والذي يقابله ١٢ م . وقد وصف المؤرخون الكعبة قديمًا بأنها بناية مكعبة ، ولذلك أطلق على البيت الحرام اسم الكعبة . كانت الكعبة قبل الإسلام بخمسة أعوام سنما ، أي حجارة وضعت بعضها على بعض من غير ملاط ، فوق القامة ، وقيل : كانت تسعة أذرع من عهد إسماعيل ، ولم يكن لها سقف وكان لها باب ملتصق بالأرض . وكان أول من عمل لها غلقًا هو تبع ، ثم صنع لها عبد المطلب بابًا من حديد حلّاه بالذهب . وهو أول ذهب حلّيت به الكعبة .

تسمية الكعبة

الكعبة في اللغة العربية : الكعبة من الشيء المكعب ، وتسمى الكعبة بهذا الاسم لتكعبها وهو تربعها وقيل لعلوها وتوئها ، وتسمى بالبيت العتيق ، والبيت الحرام .

سميت الكعبة كعبة لكونها بناءً مربعاً ومكعباً تقريباً ، و قد روي أنه : " إِنَّمَا سُمِّيَتْ كَعْبَةً لِأَنَّهَا مَرَبَعَةٌ وَصَارَتْ مَرَبَعَةً لِأَنَّهَا بِيْعَاءُ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَهُوَ مَرَبِعٌ وَصَارَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ مَرَبَعًا لِأَنَّهُ بِيْعَاءُ الْعَرْشِ وَهُوَ مَرَبِعٌ وَصَارَ الْعَرْشُ مَرَبَعًا لِأَنَّ الْكَلِمَاتِ الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ أَرْبَعٌ وَهِيَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ . "

وقد ذكرت لفظة " الكعبة " في القرآن في موضعين * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ سَلَفٌ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ {المائدة-٩٥} * جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ {المائدة-٩٧}

أسماء الكعبة في القرآن

للكعبة عدة أسماء تُعرف بها ، وهذه الأسماء وردت في القرآن ، وهي : الكعبة: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ سَلَفٌ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ {المائدة-٩٥}

البيت : وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ {البقرة-١٢٥}

موقع الكعبة

تقع الكعبة وسط المسجد الحرام تقريباً على شكل حجرة كبيرة مرتفعة البناء مربعة الشكل ويبلغ ارتفاعها خمسة عشر متراً وفي ضلعها الشرقي يقع الباب مرتفعاً عن الأرض نحو مترين . أركان الكعبة الأربعة هي الركن الأسود والركن الشامي والركن اليمني والركن العراقي وفي أعلى الجدار الشمالي يوجد الميزاب وهو مصنوع من الذهب الخالص ومطل على حجر إسماعيل .

بناء الكعبة

كما يعتقد المسلمون أن أول من بناها هم الملائكة وتفيد الروايات التاريخية أن الكعبة بنيت ١٢ مرة عبر التاريخ وفيما يلي أسماء البناء: الملائكة وآدم وشيث ابن آدم وإبراهيم وإسماعيل والعمالقة وجرهم وقصي بن كلاب وقريش وعبدالله بن الزبير في عام ٦٥ هـ ، والحجاج بن يوسف في عام 74 هـ ، والسلطان مراد الرابع في ١٠٤٠ هـ .

بناء قريش للكعبة

قامت قريش ببناء الكعبة سنة ١٨ قبل الهجرة وأنفقوا أن لا يدخلوا في بنائها إلا طيباً فقصرت بهم النفقة فأخرجوا من جهة الحجر ٣ م ومن مميزات بنائهم أنهم رفعوا الباب من مستوى المطاف ليدخل الكعبة من أرادوه وسدوا الباب الخلفي المقابل لهذا الباب وسقفوا الكعبة وجعلوا لها ميزاباً يسكب في الحطيم ورفعوا بناء الكعبة ٨.٦٤ متر بعد

ولولا أن طمس نورهم لأضاء ما بين المشرق والمغرب " وقد ورد في الحديث أيضاً أن الحجر الأسود نزل من الجنة أشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بني آدم.

الإطار الفضي

كان عبدالله بن الزبير أول من ربط الحجر الأسود بالفضة ثم تتابع الخلفاء في عمل الأطواق من الفضة كلما أقتضت الضرورة وفي شعبان ١٣٧٥هـ وضع الملك سعود بن عبد العزيز طوقاً جديداً من الفضة وقد تم ترميمه في عهد الملك فهد بن عبد العزيز في 1422 هـ.



الملتزم

وهو ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة ومقداره نحو مترين. وهو موضع إجابة الدعاء ويسن به الدعاء مع الصاق الخدين والصدر والذراعين والكفين كما ورد أن عبدالله بن عمرو بن العاص طاف وصلى ثم استلم الركن ثم قام بين الحجر والباب فالصق صدره ويديه وخده إليه ثم قال : (هكذا رأيت رسول الله يفعل)، (سنن ابن ماجه). وقال أبو الزبير : رأيت عبدالله بن عمر وابن عباس وعبدالله بن الزبير ما يلتزمونه وقال ابن عباس ما : أن ما بين الحجر والباب لا يقوم فيه إنسان فيدعو الله بشيء إلا رأى في حاجته بعض الذي يحب. (أخبار مكة) للفياكهي ٢٣٠ بإسناد حسن.

باب الكعبة الرئيسي

يرتفع عن أرض المطاف بحوالي ٢.٥ متر وارتفاع الباب ٣.٠٦ متر وعرضه ١.٦٨ متر والباب الموجود اليوم هدية الملك خالد بن عبدالعزيز يرحمه الله وقد تم صنعه من الذهب حيث بلغ مقدار الذهب المستخدم فيه للباين حوالي ٢٨٠ كيلو جرام عيار ٩٩.٩٩ بتكلفة اجمالية بلغت ١٣ مليوناً و ٤٢٠ ألف ريال عدا كمية الذهب.

أركان الكعبة

أما تسمية الأركان فقد جاءت باعتبار اتجاهاتها الأربع تارةً ، وجاءت باعتبار خصوصية أخرى فيها تارةً أخرى.

١- الركن الشرقي : وهو الركن وهو الذي يكون بجوار باب الكعبة و يُقابل بئر زمزم تقريباً ، و يُسمى بالركن الشرقي لكونه باتجاه المشرق

ان كان 4.32 متر وأكبر ميزة لهذا البناء مشاركة النبي محمد في البناء بنقل الحجارة ووضع الحجر الأسود بعد ما اختلفت القبائل حول من سيكون له شرف إعادة الحجر الأسود لمكانه فاتفقوا على أن من سيدخل عليهم يحكمونه فيما بينهم فكان أول من دخل هو النبي محمد الذي حل المشكلة بطريقة ذكية ، وهي أن يمسك شيخ كل قبيلة طرفاً من قطعة قماش يضعونها في وسطها الحجر الأسود ثم قاموا برفعها إلى موضع الحجر الأسود وتقدم النبي محمد ، ووضع الحجر الأسود بيديه في مكانه فحل بذلك المشكلة التي كادت تسبب حروباً بين قبائل العرب.

بناء عبد الله بن الزبير

في عهد عبد الله بن الزبير تعرضت الكعبة للتصدع أثناء حصار جيوش الأمويين له في الكعبة ، فقرر عبد الله إعادة بنائها ولما كان قد سعى من خالته عائشة أم المؤمنين حديثاً يقول فيه النبي محمد أن قريش نقصوا من بناء الكعبة لأن أموالهم قصرت بهم وأنه لولا حادثة قريش بالإسلام لأعاد بنائها وجعل لها بابين ليدخل الناس من أحدهما وبخروجوا من الآخر. فأعاد عبد الله بناء الكعبة على هذا النحو وزاد في بنائها لتكون على قواعد البناء القديم في عهد إبراهيم وجعل لها بابين على مستوى الأرض.

بناء الحجاج بن يوسف

في ٧٣هـ قرر عبد الملك بن مروان التخلص من عدوه و منافسه عبد الله بن الزبير إلى الأبد ، فجهز جيشاً ضخماً لهنزالة ابن الزبير في مكة ، و أمر عليه الحجاج بن يوسف ، فخرج بجيشه إلى الطائف ، و انتظر الخليفة ليزوده بمزيد من الجيوش ، فتوالت الجيوش إليه حتى تقوى تماماً ، فسار إلى مكة و حاصر ابن الزبير فيها ، و نصب المنجنيقات على جبل أبي قبيس و على قيعقان و نواحي مكة كلها ، و دامت الحرب شهراً و تأثرت جدران الكعبة حين سقطت عليها الحجارة المقذوفة من المنجنيق ، و تزعزع البناء ، و بعد مقتل عبد الله بن الزبير واستيلاء الأمويين على مكة ، قرر الحجاج بن يوسف إعادة بناء الكعبة لأصلاح ما حدث لجدرانها من التصدع ، و معللاً هذا بأن عبد الله بن الزبير لفق هذا الحديث وأنه أبتدع في بناء الكعبة ، فردها الحجاج إلى ما كانت عليه في عهد قريش .

السلطان مراد العثماني

وأما آخر بناء للكعبة فكان في العصر العثماني سنة ١٠٤٠ للهجرة ، عندما اجتاحت مكة سيول عارمة أغرقت المسجد الحرام ، حتى وصل ارتفاعها إلى القناديل المعلقة ، مما سبب ضعف بناء الكعبة ، عندها أمر محمد علي باشا مهندسين مهرة ، وعمالاً يهدمون الكعبة ، ويعيدون بناءها ، واستمر البناء نصف سنة كاملة ، وكلفهم ذلك أموالاً باهظة ، حتى تم العمل.

الحجر الأسود

يوجد في الجنوب الشرقي من الكعبة حجر ثقيل بياضوي الشكل أسود اللون مائل إلى الحمرة وقطره ٣٠ سم ويحيط به إطار من الفضة ويسن لمن يطوف أن يستلم الحجر الأسود (أي يلمسه بيده) ويقبله عند مروره به ، فإن لم يستطع استلمه بيده وقبلها ، فإن لم يستطع استلمه بشيء معه (كالعصا وما شابهها) وقَبَّل ذلك الشيء ، فإن لم يستطع أشار إليه بيده ولا يقبلها . وقد ورد في الحديث أن رسول الله محمد قال: إن الحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما

الهطاف

وهو البقعة التي تحيط بالكعبة ، وهو مكسو بالرخام ، ويبدأ الطواف من الحجر الأسود ، فإن استطاع أن يقبله فعل ، أو يلمسه أو يشير إليه ، ثم يجعل الكعبة على يساره ويمضي ويطوف سبعة أشواط حول الكعبة .

الشاذروان

وهو جدار يلاصق جدار الكعبة مكسي بالرخام ارتفاعه حوالي ٥٠ سم ، وأصل الشاذروان هو الأرض التي أنقصتها قريش من عرض جدار أساس الكعبة حين أعيد بناؤها وقت قصي بن كلاب .

الحج

الحج لغة: القصد ، واصطلاحاً: قصد بيت الله الحرام لأداء مناسك مخصوصة في زمن مخصوص .

فرضائه سبحانه وتعالى الحج على كل مسلم ومسلمة في أواخر السنة التاسعة للهجرة ، بقوله تعالى ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ﴾ آل عمران: ٩٧ وقد حج النبي ص حجة الإسلام في السنة العاشرة للهجرة . وهو ركن من أركان الإسلام ، يتعين على المسلم أدائه متى كان بالغاً عاقلاً مستطيعاً . ومن لم يكن مستطيعاً بجسده ، وكان يملك المال وجب عليه أن ينيب من المسلمين من يحج عنه .

فضل الحج

الحج من أفضل العبادات ؛ لاشتراك المال والبدن فيه ، ولأننا دعينا إلى الحج ونحن في أصلاب الآباء كاليمن الذي هو أفضل العبادات ، قال تعالى ﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾ الحج: ٢٧ . ولأنه يجمع كل معاني العبادات ، فمن حج فكأنها صام وصلى واعتكف وزكى وربط في سبيل الله وغزا . وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل الحج ، منها: عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : سئل رسول الله (ص) أي الأعمال أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : الجهاد في سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور (رواه البخاري) . وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أن الرسول (ص) قال : لعمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة (رواه البخاري ومسلم) . وعن أبي هريرة أن الرسول (ص) قال : من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه (رواه البخاري) . ومنها قول الرسول (ص) تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكبر خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة (رواه الترمذي والنسائي وأحمد بإسناد صحيح) .

فوائد الحج

تبين لنا من فضل الحج أنه من أفضل الأعمال ، وأن جزاءه الجنة إن كان مبروراً ، وأن الله سبحانه وتعالى يغفر للحاج وللمن استغفر له الحاج ، وهذه من أعظم الفوائد الدينية التي يتناها المسلم ويطلع فيها . والحج ينفي الفقر ، ويعين على الالتزام بالأخلاق الكريمة ، ويحقق طهارة النفس بالبعد عن الفحش في القول وعن المعاصي . والحج يُعوّد المسلم على الصبر وتحمل المتاعب ويظهر النفس من الشح والحرص على المال بما ينفق الحاج في سفره ويقدم من الهدي . كما أن مناسكه الكثيرة لا يجوز بعضها إلا بعد الآخر ، كما لا يجوز أكثرها إلا في مكان وزمان محددين ، تُعوّد المسلم على الانضباط والاهتمام بوقته .

تقريباً ، و يُسمّى أيضاً بالركن الأسود لأن الحجر الأسود مُثَبَّت فيه ومنه يبدأ الطواف حول الكعبة .

٢- الركن العراقي : وهو الركن الذي يلي الركن الشرقي حسب جهة الحركة في الطواف ، و يُسمّى بالركن الشمالي لمواجهته للشمال تقريباً ، وهو الركن الذي يكون على الجانب الشرقي من حجر إسماعيل ، و يُسمّى أيضاً بالركن العراقي لكونه باتجاه العراق .

٣- الركن الغربي : وهو الركن الذي يلي الركن الشمالي حسب جهة الحركة في الطواف ، و يُسمّى بالركن الغربي لمواجهته للمغرب تقريباً ، و يُسمّى أيضاً بالركن الشامي لكونه باتجاه الشام ، وهو الركن الذي يكون على الجانب الغربي من حجر إسماعيل .

٤- الركن اليمني : وهو الركن الذي يلي الركن الغربي حسب جهة الحركة في الطواف ، و يُسمّى بالركن الجنوبي لمواجهته للجنوب تقريباً ، و يُسمّى أيضاً بالمُسْتَجَار .

داخل الكعبة

أولاً: يوجد بداخل الكعبة ريح طيب من خليط المسك والعود والعنبر الذي يستخدم بكميات كبيرة لتنظيفها ويستمر مفعوله طوال العام .

ثانياً: تغطي أرضية الكعبة برخام من اللون الأبيض في الوسط ، أما الأطراف التي يحددها شريط من الرخام الأسود فهي من رخام الروزا (الوردي) الذي يرتفع إلى جدران الكعبة مسافة ٤ أمتار دون أن يلاصق جدارها الأصلي . أما المسافة المتبقية - من الجدار الرخامي حتى السقف (٥ أمتار) - فيغطيها قماش الكعبة الأخضر (أو ستائر من اللون الوردي) المكتوب عليه بالفضة آيات قرآنية وتمتد حتى تغطي سقف الكعبة . كما توجد بلاطة رخامية واحدة فقط بلون غامق تحدد موضع سجود الرسول محمد . بينما توجد علامة أخرى من نفس الرخام في موضع الملتزم حيث ألصق الرسول محمد ، بطنه الشريف وخده الأيمن على الجدار رافعا يده وبكى (ولذا سمي بالملتزم) .

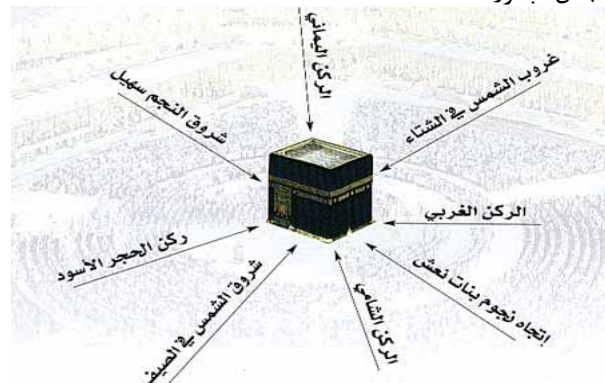
ثالثاً: ثلاثة أعمدة في الوسط من الخشب المنقوش بمهارة لدعم السقف بارتفاع حوالي ٩ أمتار محلاة بزخارف ذهبية .

رابعاً: عدد من القناديل المعلقة المصنوعة من النحاس والفضة والزجاج المنقوش بآيات قرآنية تعود للعهد العثماني .

خامساً: درج (سلم) يصل حتى سقف الكعبة مصنوع من الألومنيوم والكريستال .

سادساً: مجموعة من بلاطات الرخام التي تم تجميعها من كل عهد من عهود من قاموا بتوسعة الحرم المكي الشريف .

يوضع من وقت لآخر جهاز رافع آلي (مان-ليفث) لعمال التنظيف داخل الكعبة مع مضخة ضغط عالي تعبأ بالماء ومواد التنظيف . تغسل الكعبة من الداخل مرة واحدة في كل عام بالماء والصابون أولاً ثم يلي ذلك مسح جدرانها الداخلية وأرضيتها بالطيب بكل أنواعه وتبخر بأجمل البخور .



الحج والكعبة في الكتاب المقدس.. العهدين القديم والحديث

بقلم / علي أبو الخير*

ارتبطت النبوات بالأرض المقدسة والأرض المقدسة تشمل الجزيرة العربية وامتدادها الشمالي الطبيعي نحو الشام ، وهي الأرض التي عاش فيها أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام وذريته من بعده ، أي أن الإنسان ارتبط بالأرض المقدسة ، ثم جزء من هذه الأرض المقدسة جعل رمزاً للتوحيد الإلهي والعدل الرسالي ، فكان البيتان الحرام في مكة المكرمة والمسجد الأقصى في القدس الشريف .

ارتبطت الخليل بالكعبة ، وترك وراءه أجيالاً جاهزة للتطور التوحيدي ، فكانت اليهودية ثم المسيحية ، وما بينهما من نبوات ممتدة تتطلب أن يكون العقل الإنسان مستعداً في أطواره الممتدة لاستيعاب الحقائق الكونية لتردها إلى أصل واحد ومصدر واحد ، لذا فإن الكتب السماوية التوراة والانجيل جاءت بالكعبة والحج في جنباتها ، لأن كل الديانات السماوية وكل الأنبياء جاءوا برسالة واحدة على السنة أنبياء مختلفين ، وبعيداً عن القول بتحريف التوراة والانجيل وأعمال الرسل ، فإن بحثنا هذا يتركز في إيراد ما جاء عن مكة وعن شعائر الحج في العهدين القديم والجديد ، وسيطلب ذلك أبحاثاً ثلاثة ، الأول عن سيرة إبراهيم في مكة المكرمة ، والثاني عن الحج في العهد القديم ، والثالث عن الحج في العهد الجديد .

المبحث الأول :

سيرة إبراهيم في مكة المكرمة كما في العهد القديم :

يقول الأستاذ عباس العقاد ^(١) : " لم يكن لإبراهيم وطن عند بيت المقدس ، سواء نظرنا إلى وطن السكن أو وطن الدعوة أو وطن المرعي ، فالتواتر من روايات التوراة أنه لم يجد عند بيت المقدس مدفناً لزوجته فاشتره بالمال من بعض الحيثيين .

أما الدعوة الدينية فقد كانت الرئاسة فيها لأحبار أيل عليون وكان إبراهيم يقدم العشر أحياناً إلى أولئك الرهبان ، ومن كان معه أتباع يخرجون في طلب المرعي فلا بد لهم من مكان يسمون فيهم إبلهم وماشيتهم بعيداً عن المزاحمة والمنازعة ، وهكذا كان إبراهيم يميل في أكثر أيامه كما تواترت أبنائه في سفر التكوين ، فلا يزال متجهماً إلى الجنوب ، وهناك أسباب دينية غير هذه الأسباب الدنيوية توجي إليه أن يسير إلى الجنوب حيث يستطيع أن يتبنى لعبادة الله هيكل غير الهياكل التي يتولاها الكهان والأحبار من سادة بيت المقدس إلى أيام أرميا وكانت كلمة (تيمان) مرادفة لكلمة الحكمة والمشورة الصادقة ، وهي تقابل كلمة (يمن) في اللغة العربية بجميع معانيها ومنها الإشارة إلى الجنوب ، والجنوب هو الحجاز ، في هذا الطريق سلك الأنبياء ، وذكرت المصادر الإسرائيلية منهم من بلغ مدين ، وذكرت منهم من عله أقام في نجد أو لعله أقام وراءها من البلاد العربية .

إن ما ورد في التوراة عن رحلة إبراهيم إلى الحجاز ليست بالوضوح الذي يشفي غليل الباحث ، ولكن - رغم ذلك - فإن الإشارات التي جاءت في التوراة تؤكد رحلة الخليل إلى أرض الحجاز ، ففي سفر التثنية على لسان موسى عليه السلام ^(٢) جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سير

بإمكان الحاج أن يحقق بعض المنافع الدنيوية الأخرى كالتجارة - على ألا يخل عمله بأداء حجه . فقد أباح الله سبحانه وتعالى ذلك بقوله : ﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾ ليشهدوا منافع لهم ﴿ الحج ٢٧ ، ٢٨ .

والحج مؤتمر سنوي كبير يتيح للمسلمين الالتقاء وتدارس قضاياهم وتبادل الآراء وتدارس ما يعترض الدعوة إلى الله من عقبات ، والبحث عن الحلول المناسبة في جوّ روحي بوجود عدد كبير من أهل العلم والدعوة . كما أن الحج يحقق الأخوة والمساواة بين المسلمين التي قررها الله سبحانه بقوله : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ الحجرات : ١٠ وقوله سبحانه : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ الحجرات : ١٣ فالغني والفقير والقوي والضعيف والحاكم والمحكوم كلهم يقفون في صعيد واحد يؤدون مناسكهم نفسها في الزمان والمكان بملابس واحدة ، بعيداً عن الكبر والخيلاء ومظاهر الدنيا .

حكر الحج

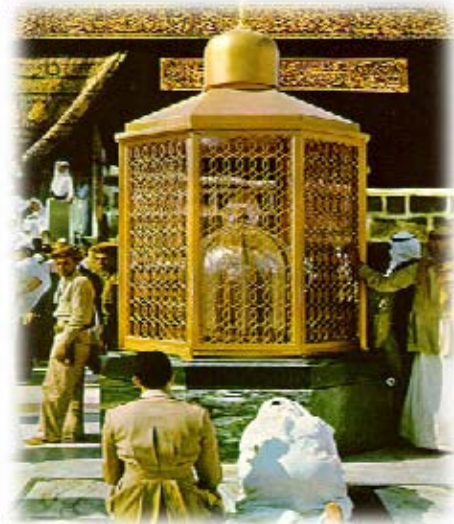
الحج فرض عين على كل مسلم ومسلمة بالغين عاقلين مستطيعين . ولا يجب الحج إلا مرة واحدة في العمر ، فعن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أن رسول الله (ص) قال : أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج حجوا . فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت ، حتى قالها ثلاثاً ، فقال النبي (ص) : لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم (رواه مسلم) .

وقت الحج وركانه

للحج أشهر معلومات يجوز فيها ، ولا يجوز في غيرها قال تعالى : ﴿ الحج أشهر معلومات ﴾ البقرة : ١٩٧ . وهذه الأشهر هي : شوال وذو القعدة والعهدة الأوائل من ذي الحجة وقيل ذو الحجة كله . ويؤدّى الحج في : مكة ، ومنى ، ومزدلفة ، وعرفات .

العمرّة

لغة الزيارة ، وشرعاً : زيارة البيت على وجه مخصوص .. وقد اعتمر النبي (ص) أربع عمرات ؛ ثلاثاً في ذي القعدة ، والرابعة مع حجته . والعمرّة واجبة عند بعض العلماء ، وسنة مؤكدة عند آخرين ، وفضلها عظيم وتكرارها في العمر أكثر من مرة جائز وأجره عظيم لفعل النبي ولقوله :^٣ (العمرّة إلى العمرّة كفارة لما بينهما) رواه البخاري ومسلم . وقوله (تابعوا بين الحج والعمرّة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب... الخ) رواه الترمذي . وإحرام العمرّة كإحرام الحج وطوافها كطوافه وسعيها كسعيه .



* جميع الحقوق محفوظة لموقع المكتبة .

هذه المعاني من جديد في سفر حبقوق فقد قال ذلك النبي (٩): "الله جاء من تيمان ، والقدوس من جبل فاران ، سلاه ، جلاله غطي السماوات ، والأرض امتلأت من تسبيحه ، وكان لمعان نور ، له من يده شعاع وهناك استتار قدرته " ، وهذا مرادف لجبال النور أو فاران ، والتساييح التي كانت لا يعرفها البشر تعلموها من الخليل في أول عهد رسالته ومكة ثم دامت وتطورت حتى وصلت إلى الرسالة الخاتمة .

وتشرح التوراة بعضاً من سيرة الخليل عندما شرع في ذبح ابنه إسماعيل بناء على طلب الله منه ، وبعد أن ظهرت عظمة إخلاص وإيمان إبراهيم وإسماعيل اقتداه الله بكبش عظيم ، وعندها نادى ملاك الرب من السماء إبراهيم ليؤكد له الوعد الذي وعده الله إياه من قبل فقال له (١٠): "وقال بذاتي أقسمت يقول الرب ، إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك ، أباركك مباركاً وأكثر نسلك تكثريراً كنجوم السماء وكالرمال الذي على شاطئ البحر ، ويرث نسلك باب أعدائه ، ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض " ، فالدعاء الألهي لإبراهيم كان بالحجاز ف مكة ، حيث أن إسماعيل كان الابن الوحيد لإبراهيم قبل ولادة اسحق عليه السلام لا كما ذكرت التوراة بآبن اسحق هو الذبيح .

وتلألاً من جبال فاران " ، وسعير أو أرض سعير هي سلسلة جبال ممتدة في الجهة الشرقية من وادي عربة من البحر الميت إلى خليج العقبة وسميت بذلك نسبة إلى سعير الحروري (وهو جد سكان تلك الأراضي) أو سميت نسبة إلى خشونة منظر البلاد كلها (وهو الراجح) والهوخ الإسرائيلي بوسيفوس يسميها جبال (عيبال) ، ولا تزال القسم الشمالي من جبل سعيرة حتى الجزيرة العربية يدعي جيبال ، وكانت حدود سعير تمتد قديماً إلى الجزيرة العربية والخليج العقبة جنوباً (٣) أما بركة فاران فأولة فاران هو جبل النور عند مكة المكرمة ، والبرية تشمل تلك البقاع القدسة ، والذي سكن تلك البرية هو إسماعيل عليه السلام بعد أن عاش فيها الخليل ورفع معه ن بنيان الكعبة المشرفة ويكون معنى ماجاء بسفر التثنية أن الرب اشرف في سيناء حيث كلم موسى عليه السلام ثم اشرف في سعير قريبا منبيت لحم حيث ولد المسيح عليه السلام ، أما التلال في فاران فكان يمثل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم .وهذا يصادق ماجاء بالقران الكريم "والتين والزيتون وطول سنين وهذا البلد الأمين" (٤) ، فالتين والزيتون إشارة إلى المسيح اما طور سيناء إشارة إلى موسى والبلد الأمين إشارة إلى البيت الحرام وبعثة الرسول (ص) .

والدليل أن بركة فاران هي أرض الحجاز ما جاء في سفر التكوين (٥) " وأما ساراي امرأة أبرام فلم تلد له ، وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر ، فقالت ساراي لأبرام هو ذا الرب قد أمسكني عن الولادة ، ادخل على جاريتي لعلني أرزق منها بنين ، فسمع أبرام لقول ساراي ، فأخذت ساراي امرأة أبرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لإقامة أبرام في أرض كنعان وأعطتها لأبرام رجلها زوجة له ، فدخل على هاجر فحبلت ، ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها في عنبها ، فقالت ساراي لأبرام ظلمي عليك ، أنا دفعت إليك جاريتي إلى حضنك ، فلما رأت أنها حبلت صغرت في عنبها ، قضى الرب بيني وبينك ، فقال أبرام لساراي هو ذا جاريتك في يديك ، افعلي بها ما يحسن في عينيك فأذلتها ساراي فهربت في البرية ، فوجدها ملاك الرب على عين الهاء في البرية على العين التي في طريق شور ، وقال : يا هاجر جارية ساراي من أين أتيت والي أين تذهبين فقالت : أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي ، فقال لها ملاك الرب ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يديها ، وقال لها ملاك الرب تكثريراً أكثر نسلك فلا يُعد من الكثرة ، وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلي فتلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك وأنه يكون إنساناً وحشياً يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه وأمام جميع أخوته يسكن " ، ثم قال لها ملاك الرب بعد أن ولدت إسماعيل : مالك يا هاجر لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو ، قومي احلمي الغلام وشدي يدك لأني سأجعله أمه عظيمه ، وفتح الله عينها فأبصرت بئر ماء ، فذهبت وملأت القرية ماء وسقت الغلام ، وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في بركة فاران ، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر" (٦) .

يتضح من التوراة إذن أن الذي سكن أرض فاران هو إسماعيل عليه السلام ، وكان مقدمة قوله تلألاً من جبل فاران ، فأرض فاران هي أرض النور ، مع العلم أن الإسرائيليين دخلوها مبكراً بعد مفارقتهم أرض التيه في سيناء (٧) ، ثم أرسلوا منها الجواسيس إلى أرض كنعان (٨) ، وقد ذكر في العهد القديم ثمانية عشر موضعاً من المواضع التي نزل بها شعب إسرائيل مدة رحلاتهم في تلك البرية .

الذي يعيننا أن رحلة الخليل كانت إلى الجنوب كما ذكر الأستاذ العقاد وكما تدل الروايات في الأسفار الخمسة من العهد القديم ، وقد تأكدت



ثم وعد الله إبراهيم أثناء إقامته في الحجاز حيث قال له (١١) "وتكلم الله معه قائلاً ، أما أنا فهو ذا عهدي معك ، وتكون أباً لجمهور من الأمم ، فلا يدعي اسمك بعد أبرام بل يكون اسمك إبراهيم ، لأن أجعلك أباً لجمهور من الأمم ، وأثمرك كثيراً جداً وأجعلك أمماً ، وملوك منك يخرجون ، وأقيم عهدي بيني وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً ، وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك ، يُختن منكم كل ذكر ، فتمتختنون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم .. فأخذ إبراهيم إسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المبتاعين بفضته كل ذكر من أهل بيت إبراهيم ، وختن لهم غرلتهم في ذلك اليوم ختن في لحم غرلته ، في ذلك اليوم عينه ختن إبراهيم وإسماعيل ابنه " .

ما يعيننا هنا هي تلك الأحداث التي حدثت مع إبراهيم في مكة ، لأن إسماعيل لم يذهب للشام ، وكل ما ورد بين إبراهيم وإسماعيل لم يكن في الشام بل في الحجاز ، ونرى بوضوح أن اسحق لم يذكر في ذلك ، وأن العهد بتكثيره ومنه يخرج ملوك ، والختان كان علامة العهد ، وكان العرب ختنون طوال عهدهم حتى وهم مشركون اقتداءً بإبراهيم وإسماعيل ، ويتضمن هذا النص العهد الذي جعله الله بينه وبين إبراهيم ونسله ، مع التأكيد بأن المقصود بأن يجعله أباً لجمهور من الأمم أن يجعله علم وهدى وقدرة في السبر إلى الله تعالي والإخلاص له

الإسرائيليين بأن الأغنية جديدة وقادمة أي أنه كان يبشر ببعثة النبي الكريم ، وأن هذه التلبية ستتردد في الآفاق ، ولذلك قال أشعيا : تسبيحه من أقصى الأرض ، من المنحدرين من البحر ومن البر ، لترتفع الحناجر بتلك الأغنية وهم يواصلون طريقهم نحو بيت الله المحرم إلى حيث الديار التي سكنها قيدر ، وتترنم سالع (في القاموس : سلع جبل بالمدينة ، ولسلع بالتصغير جبل بالمدينة ، وسالع جبل قبالة جبل أحد) بتلك التلبية عندما يزور الحجاج مدينة الرسول صلي الله عليه وآله وسلم ، ويتراءى ذلك التجمع عندما يمجدون الرب أو حسب ما قال أشعيا ليعطوا للرب مجداً ، ويخبروا بتسبيحه الجزائر أي الأراضي اليابسة ، والناس جاؤوا من بعيد مع أنبائهم ، يحملون بناتهم ، وهنا تخفق قلوب الأمم التي أشرق عليها نور الدعوة وحقيقة التوحيد .

٢- من المعروف أن الحجاز وادي غير ذي زرع ، وأن الحجازيين يعيشون على ما يأتيهم من رزق من خارج الحجاز ، إما مع حجاج بيت الله الحرام ، ومن الثروات التي يوقفها أصحابها على الديار المقدسة لأنها خير الأرض ، ولذلك فإن أشعيا قال بعد أن ذكر الراحلين للحج من كل الأراضي (أو من كل فج عميق حسب التعبير القرآني) يقول : لأنه تتحول إليك البحر ، ويأتي إليك غني الأمم ، وهذه إشارة إلى ما أكد عليه التراث الإسلامي بأن الحجاز يؤتي إليه من الثمرات ، أي من خارج الحجاز .

٣- تغطية كثرة الجمال بكران مدايان وعيفة كلها تأتي من شبا تحمل ذهباً ولباناً ، وتبشر بتسايح الرب ، هكذا قال أشعيا ، وهو تكرر لثروة الأمم التي تنفق في الحجاز ، ولكنه يقول تبشر بتسايح الرب ، والتسايح لا تكون بعد الوصول إلا أثناء الطواف ، وهو ما رده النبي حقيق فيما بعد : والأرض امتلأت من تسبيحه ، والأرض التي يعينها هي أرض فاران أو جبل النور في الحجاز ، وتلك إشارة إلى طواف الحجاج بالبيت الحرام .

٤- كل غنم قيدر تجتمع إليك ، كباش نبايوت تخدمك ، تصعد إليك مقبولة على مذبحي وازين بيت جمالي ، وهذه دلائل واضحة على يوم عرفه ويوم النحر في مني ، حيث أن الجمال والكباش تصعد إلى مني حيث المذبح الذي طلب الله من إبراهيم أن يذبح ابنه بالقرب منه ، ثم فداه بكبش ، وصارت سنة الحجاج التقرب إلى الله بالذبح وتوزيع اللحوم على الفقراء ، وتبدو الإشارة واضحة على كثرة الذبح لأن الحجاج جميعاً يذبحون ، لأنها تصعد مقبولة من الله على المذبح حتى يتزين بيت الجمال ، وبيت الجمال هنا مكان الذبح في مني ؛ والزينة لأن الجميع يؤدي فريضة من فرائض الحج ، والأضحية يستفيد منها فقراء المسلمين في الحجاز وخارج الحجاز الذين يأكلون اللحوم فيشكرون الله ، ويأخذ الحجاج ثوابهم من الله تعالى .

رمزية الحجر الأسود في العهد القديم

في الفترة من سنة ٥٩٧ الى ٥٣٨ قبل الميلاد ، وفي أيام النبي دانيال ، وفي أرض السبي بمملكة بابل ، وفي السنة الثانية من الملك نبوخذ نصر ملك بابل ، يلهم الله ذلك الملك الوثني برؤيا منامية ، ويكشف له الإمبراطوريات التي تتعاقب وتدور حتى يأتي الإسلام ، ويرمز إليه بحجر قطع بغير يدين ، وطلب الملك الوثني أن يفسرها له المنجمون ، ولكنهم فشلوا جميعاً ، ذلك أنه لم يذكر الرؤيا لهم ، فقط طلب منهم أن يقولوا الرؤيا ثم يفسرها له ، وهنا جاء الدور على دانيال النبي فقال كما جاء في سفره ^(١٥) : "كنت تنتظر إلى أن قطع حجر بغير يدين ، فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف ، فسحقهما

، وأن يكون نسله أنبياء وقدرة للبشرية مع بعده ، ولهذا النص ونصوص أخرى من التوراة ما تطابقها آيات قرآنية ، ولكننا لسنا بصدد إعداد دراسة مقارنة بين القرآن والتوراة ، بل هو سيرة إبراهيم بالحجاز من التوراة نفسها رغم ما يشوب ذلك من تضبيب ديني وتاريخي .

لم تكن إقامة إبراهيم بالحجاز إقامة دائمة ، بل أنه كان يزورها في أوقات مختلفة ، والظن الأغلب هنا أنه كان يقوم بأداء فريضة الحج ثم يتأكد من انتشار الدعوة بين القبائل العربية التي سكنت الحجاز ، ثم كان يؤدي مناسك الحج الإبراهيمية من طواف وإفاضة وغيرها من النسك .

المبحث الثاني : شعائر الحج في العهد القديم والجديد

رغم أن التوراة حرصت على التأريخ لقبائل إسرائيل وحدها ، ولأننا لا نعتمد على المصادر الإسلامية في هذا المبحث ، نعيد القول إن إبراهيم كان يزور مكة حاجاً ، أما إسماعيل فكان يؤدي الفريضة كل عام بطبيعة الأشياء ، وأول ما يلفت انتباهنا هو أن التوراة ذكرت في إشارات قليلة أولاً إلى نسل إسماعيل حيث جاء ^(١٢) : " وهذه أسماء بني إسماعيل حسب أسمائهم ومواليدهم : نبايوت بكر إسماعيل ، وقيدر وأدبئيل ومبسام ، ، ومشماع ودومة ومسأ ، وصدار وتيما ويطور ونافيش وقرمة هؤلاء بنو إسماعيل وهذه أسماؤهم بحسب أحويتهم وحظائرهم إثنا عشر زعيماً لقبائلهم " .

وهذا النسب دونه موسى عليه السلام في سفر التكوين ، وهؤلاء الاثنا عشر رجلاً من نسل إسماعيل من المفترض أنعم أجدد العرب ، وأحدهم كان جد النبي صلي الله عليه وسلم .

ولو تأملنا لمناسك الحج لوجدناها تقريباً في العهد القديم ، ففي سنة ٧٠ قبل الميلاد تنبأ النبي أشعيا بقيام وظهور الإسلام ليكمل مسيرة الحج فقد جاء ^(١٣) : " قومي استنيري لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك لأنه ها هي الظلمة تغطي الأرض ، والظلام الدامس الأمم ، أما عليك فيشرق الرب ، ومجده عليك يرى ، فتسير الأمم في نورك ، والمملوك في ضياء إشراقك ، إرفع عينيك حوالك وانظري ، قد اجتمعوا كلهم جاءوا إليك ، يأتي بنوك من بعيد ، تحمل بناتك على الأيدي ، حينئذ تنظرين وتنيرين ، بخفق قلبك ويتسع ، لأنه تتحول إليك ثروة البحر ، ويأتي إليك غني الأمم ، تغطيك كثرة الجمال ، بكران مدايان وعيفة كلها تأتي من شبا تحمل ذهباً ولباناً وتبشر بتسايح الرب ، كل غنم قيدر تجتمع إليك ، كباش نبايوت تخدمك ، تصعد إليك مقبولة على مذبحي وازين بين جمالي ط أ هـ .

وفي نفس السفر (أشعيا) جاء ^(١٤) " عنوا للرب أغنية جديدة ، تسبيحة من أقصى الأرض ، أيها المنحدرون في البحر ومائه ، والجزائر وسكانها ، لترفع البرية ومدنها صوتها ، الديار التي سكنها قيدر ، لتترنم سالع ، من رؤوس الجبال ليهتفوا ، ليعطوا للرب مجداً ، ويخبروا بتسبيحه الجزائر ، الرب كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض غيرته ، يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه " أ هـ .

ولو أردنا وصفاً لمناسك الحج لن نجد أكثر روعه ووضوحاً مما جاء في سفر أشعيا كما سنرى :

١- غنوا للرب أغنية جديدة ، وهي التلبية الخالدة لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك ، لا شريك لك " ، وهي أغنية أو تلبية جديدة على سمع الإسرائيليين ، ولكنهم تلبية للخليل إبراهيم ، وظل العرب يرددوها ، ولكنهم أضافوا لها (إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك) وذلك أثناء فترة انحرافهم العقائدي ، والذي اختفي بالبعثة النبوية الشريفة ، نبي الله أشعيا كان يبشر الناس جميعاً وخاصة

فبعد أن بشر الله إبراهيم في مكة أن يكثر نسله حتى يكون مثل عدد الرمال وعدد النجوم ، نجد في سفر التثنية مخاطباً بني إسرائيل^(١٧) : " يقيم الرب إلهك نبياً من وسط ، من اخوتك مثلي له تسمعون " ، وكذلك^(١٨) : " أقيم لهم نبياً من وسط اخوتهم أجعل كلامي في فمه فيكلهم بكل ما أوصيه به " .

والذي يتأمل تلك الكلمات يجد أن البشارة بالرسول (ص) جاءت رمزية لكنها واضحة ، أقيم لهم نبياً من وسط اخوتهم ، أي من أخوة إسرائيل واسحق ، أي من ذرية إسماعيل ، له يسمعون ، أي يسمع بنو إسرائيل له عندما يظهر .

وأجعل كلامي في فمه وهذا كناية عن أن النبي الذي يبشر به كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب فكان ينزل عليه الوحي ويردده بفمه الشريف إلى كتاب الوحي من أصحابه فيدونوه كما نزل . هذا بالإضافة إلى أن بركة الرب لإبراهيم مع إسماعيل تجلت في ظهور النبي (ص) حفيد إبراهيم .



المبحث الثالث : الحج في العهد الجديد :

ليس في العهد الجديد إشارات كثيرة للحج والكعبة كما في العهد القديم ، ولكن العهدين مترابطين بحيث أن ما يقوله العهد القديم يصدقه العهد الجديد (الإنجيل) ، وهذا ما يؤمن به المسيحيون بصورة أكيدة وقاطعة ، فالمسيح عليه السلام جاء يكمل الناموس أي يحيى الشريعة الموسوية .

ومع ذلك توجد إشارات إلى الكعبة ، يقول المسيح (ع)^(١٩) : "أما قرأتهم قط في الكتب : الحجر الذي رفضه البنائون هو قد صار رأس الزاوية ، من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا ، لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره " .

والحجر الذي قصده المسيح هو إسماعيل ، ذلك أن قبائل إسرائيل رفضت الاعتراف به نبياً ، وتفاخروا عليه بقولهم إذن لسنا أولاد جارية بل أولاد حرة ، أي أنهم لا يعترفون به فقد كانوا ينظرون إليه على أنه ليس بمقدارهم ولا مكانتهم وأنه ذهب إلى البرية مع أمه وأنه كان وحشياً ، ثم أولوا كل بشارات الله لإسماعيل فخصوا بها اسحق دونه ، والمسيح قصد بحجر الزاوية إسماعيل ، وفي الوقت ذاته تفسير للحجر الأسود الذي في إحدى زوايا الكعبة المشرفة ، لأن إسماعيل كان يرفع بناء الكعبة مع خليل الله ، ثم وضعوا الحجر في مكانه المعهود ، فرمزية الحجر تنطبق على إسماعيل ، كما تنطبق على الحجر الأسود ذاته لأن إسماعيل اختص بالحجر الأسود دون اسحق عليه السلام ، والمسيح عندما تنبأ بأن ملكوت الله ينزع ، فهو منهم من بني إسرائيل الذين كذبوه وأذوه ، ثم بشر بأن ملكوت الله يعطى لأمة تعمل أثماره ، أي أمة أخرى غير الأمة الإسرائيلية ، كما أن المسيح ضمن نبواته كان يقول عن الهيكل إنه لن يبقى فيه حجر على حجر فقال^(٢٠) : "أما تنظرون جميع هذه ، الحق أقول لكم : انه لا يترك حجر على حجر لا

فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معاً ، وصار كعصافه البيدر في الصيف ، فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان ، أما الحج الذي ضرب التمثال فصار جبلاً كبيراً وملاً الدنيا كلها " ، ولقد كان تفسير الرؤيا إيذاناً ببدء عصور مستقبلية تشير جميعها إلى ممالك رمز إليها المنام كما يلي^(٢١) .

١- سنة ٧٠١ ق م ، مملكة بابل ، ويرمز إليها بالرأس من الذهب في عهد نبوخذ نصر الذي أخذ اليهود أسرى في السبي البابلي الشهير .

٢- سنة ٦١٣ ق م ، المملكة الكلدانية في عهد ميداس ويرمز لها بالفضة حيث اشتهرت بها .

٣- سنة ٣٢٦ ق م المملكة الإغريقية في عهد الاسكندر المقدوني ، ويرمز لعصره بالنحاس لأن عصر الاسكندر اشتهر بالنحاس ولم يكن الاسكندر راغباً في الذهب والفضة .

٤- سنة ٥٣ ق م ، الإمبراطورية الرومانية في عهد بومباي ويرمز لها بالحديد .

٥- سنة ٦١٢ م الإمبراطورية البيزنطية في الغرب والامبراطورية الفارسية الساسانية في الشرق والحديد والخزف ، وأنهما جميعاً انسحق الجميع الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معاً ، وهي إشارة إلى انهيار كل الممالك التي أقيمت منذ عصر دانيال ، وأنها لم يبق لها في الوجود شيء ، وعبر عن ذلك كانت عصافه البيدر في الصيف ، أي أنها ذهبت مع الريح ولم يعد لها وجود .

٦- سنة ٦٣٧ م يقوم الإسلام وينتشر ويبقى صامداً حتى الآن بعد أن ذهبت كل الممالك إلى كنت التاريخ ، أما الإسلام فهو الذي بقي ، وعبر عنه دانيال بالحج الذي ضرب التمثال بغير يدين فصار جبلاً كبيراً وملاً الأرض كلها .

والحج في المنام والذي فسره دانيال إشارة إلى الحج الأسود صار جبلاً كبيراً ، وهو تعبير مجازي عن الإسلام نفسه ، لأن الحجر الأسود له قداسة في نفوس المسلمين ، وذكره انتشار ليملاً الأرض كلها .

ورغم تحفظاتنا (كما ذكرنا في هامش المصادر) على تلك السنين التي أوردها المؤرخون ، لكن المؤكد أن النبي دانيال كان يفسر حلم نبوخذ نصر على أسسه الدينية لأنه ملك وثني قاد قبائل إسرائيل أسرى ، صحيح أنه من أفعالهم سلط الله عليهم ملوكاً وثنيين ، ومع ذلك ظل من بني إسرائيل أنبياء يريدون نشر الدعوة والتنبؤ بالخلاص ، وبالفعل فإن نبوخذ نصر خفف الأعباء عن اليهود بعد تفسير دانيال لهنامه .

وفي التراث الإسلامي أن المسلمين بعد أن فتحوا العراق وجدوا دانيال النبي في بابل مدفوناً قريباً من سطح الأرض ، وكان جسده الطاهر مازال محتفظاً بطراوته (لأن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء) فأرسلوا إلى عمر بن الخطاب يخبروه بخبره ، فأرسل لهم أن غسلوه وكفنوه وصلوا عليه ثم ادفنوه دفن المسلمين ، وفعل المسلمون ما قال عمر رحمه الله .

بشائر العهد القديم بالرسالة الإسلامية والنبي (ص)

لا يفوتنا ونحن نتحدث عن الحج ومكة والبيت الحرام أن نتحدث عن البشائر التي جاءت بالرسول (ص) خاتماً للأنبياء ، وفي هذه البشائر دلائل على وجود مكة ومناسك الحج في الكتاب المقدس لكل ، لأن النبي (ص) هو الذي سيعيد الحياة إلى التوحيد الإبراهيمي أو حسب النص القرآني الحنيفية الإبراهيمية ، كما يعيد لمكة قدسيتها ورمزيتها للبشرية كلها .

احتقر تموه أيها البنائون الذي صار رأس الزاوية ، وليس بأحد غيره الخلاص " .

فالقديس بطرس كان يعيد أو كأنه يفسر ما قالت به التوراة وما جاء على لسان السيد المسيح من أ ، النبي محمداً (ص) سيكون من اخوة بني إسرائيل وأنه يقول ما يسمع من الوحي ، كما يعيد بطرس الحديث عن حجر الزاوية ، الذي رفضه البنائون ، وهو الذي يأتي بالخلاص ، وفيه إشارة عن إسماعيل وعن الحجر الأسود ، وعن النبي (ص) الذي يخلص الأمم من الأسر الفكري ، والحقيقة أنه يمكن القول كما قال الشيخ أحمد ديدات رحمه الله بأنه إذا كانت التوراة والأسفار هي العهد القديم والأنجيل هي العهد الجديد ، فإن القرآن الكريم هو العهد الأخير ، لأنه المتمم لشريعة التوحيد والعدل والتي هي دعوة الأنبياء كثيراً .

خاتمة البحث

لم نورد في البحث أية إشارة إلى المصادر الإسلامية التي نتحدث عن تبشير التوراة والانجيل بالرسول المصطفى (ص) ، لأن البعض قد يظن أننا نعقد مقارنة بين الأديان ، ولكن هذا لا يعيننا لسببين :

السبب الأول : أن البحث سوف يطول أكثر ؛ والحديث عن تطابق القرآن في كثير من الآيات المبشرة بالرسول مع ما جاء بالكتاب المقدس سيخرج البحث عن هذا النطاق ، وبحسنا يتعلق بالحج والكعبة كما ورد في الإشارات الواضحة عند أهل الكتاب .

السبب الثاني : لسنا بصدد الدخول في جدل مع أهل الكتاب لأن العقائد عموماً خارجه عن نطاق الجدل ، وأنه يمكن التقريب بين البشر فيما يتفقون حوله من أخلاقيات ومثل ومبادئ وقيم كالحرية والكرامة الإنسانية وغيرها ، أما إذا دخل الجدل في نطاق العقائد فإنه يفرق كثيراً .

من هنا كان البحث يدور حول الحج والكعبة عند أهل الكتاب ، والمتأمل لذلك يجد أن الأرض المباركة أو التي بارك الله فيها للعالمين هي صرة العالم القديم ، وأن الله سبحانه وتعالى حدد مصير البشرية في ذرية أبي الأنبياء ، وأبو الأنبياء له فرعان ، هما فرع اسحق وفرع إسماعيل ، وقد اختص الله تعالي الفرع الاسحاقي بالبركة النبوية فقد جعل الله من ذرية اسحق عدداً كبيراً من الأنبياء والدعاة إلى الله ، كان أعظمهم قدراً وأرفعهم مقاماً النبي موسى عليه السلام صاحب الشريعة ، وآخرهم النبي عيسى عليه السلام ، ولكن ونظراً للانحرافات المتكررة من بني إسرائيل وقيامهم بقتل بعض الأنبياء ، فقد زالت عنهم البركة ، ففي سفر حزقيال^(٢٧) : "إن بيت إسرائيل كما سكنوا أرضهم نجسوها بطريقهم وبأفعالهم كانت طريقهم أمامي كنجاسة الطامث ، فسكبت غضبي عليهم لأجل الدم الذي سفكوه على الأرض وبأصنامهم نجسوها ، فبددتهم في الأمم ، فتذروا في الأراضي كطريقهم وكأفعالهم دنسهم ، فلما جاؤوا إلى الأمم حيث جاؤوا نجسوا اسمي القدوس " .

فالشنتات الذي أقيم وخيم على القبائل الإسرائيلية كان بسبب مذابح أقاموها وأصنام عبودها فنجسوا الأرض المقدسة في فلسطين فحق عليهم الشتات والتبدد في الأرض ، وبالتالي سح منهم الامتياز أو البركة . ويتبين أن بركة الأمم لم تتحقق في نسل اسحق لأن بني إسرائيل يقولون إن شريعة موسى خاصة بهم وللغريب المقيم في وسطهم ففي سفر العدد^(٢٨) : "مثلكم يكون مثل الغريب أمام الرب ، شريعة واحدة وحكم واحد يكون لكم وللغريب النازل عنكم " . وهذا يعني أن الرسالة التي حملها موسى جاءت خاصة بقومه فقط من دون الأمم ، وعلى ذلك فلم يتحقق وعد الله لإبراهيم بمباركة جميع الأمم من نسله الاسحاقي .

ينقص " ثم قال عن اورشليم^(٢١) : "يا اورشليم يا اورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المراسلين ، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا ، هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً " ، النبوات العيسوية كان تحدد دورة الزمن بانقضاء عمر المسيرة الموسوية ، وأن النهاية مأساوية لهيكل الرب الذي بالفعل دمر عام ١٣٥ م على يد الإمبراطور الروماني هادريان الذي لم يختص الهيكل وحده بل دمر مدينة اورشليم كلها عن بكرة بيوتها وهيكلها ، ثم أسماها إيلياء الكبرى .

كما ورد ببعض الأنجيل إشارة إلى الحج^(٢٢) : "سيأتي مسيا المرسل من الله لكل العالم ، الذي خلق الله العالم لأجله ، وحينئذ يُسجد لله في كل العالم وتنال الرحمة حتى أن سنة اليوبيل التي تجيء الآن كل مائة سنة سيجعلها مسيا كل سنة من كل مكان " .

وكلمة المسيا في اللغة الآرامية تعنى الرسول ، وأن اختصار مائة عام في عام واحد إشارة إلى حج بيت الله الحرام ، التي جعلها الله في أيام معلومة في شهر ذي الحجة من كل عام .



بشائر الإنجيل بالرسول (ص):

كما ذكرنا عن بشائر العهد القديم بالنبي (ص) نورد بعض بشائر الأنجيل به صلى الله عليه وسلم ، لأن التبشير به تبشير بدعوته وبأركان رسالته ومنها حج بيت الله الحرام .

من هذا البشائر ما جاء على لسان السيد المسيح للحواريين^(٢٣) : "إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون الآن تحتملوا ، وأما متى جاء ذلك روح الخلق فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آنية " .

فالمسيح كما جاء في سفر التثنية يتحدث عن رسول آخر يتحدث بكل ما يسمعه أي من فمه كما جاء التثنية ، فكل ما يسمع يتكلم به ، أي يقوله لكتاب الوحي ، وأشار إلى النبي القادم بأنه روح الحق .

في نفس الإنجيل يتحدث عن روح الحق ذاك فيقول^(٢٤) : "ومتى جاء روح الحق الذي من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي " أي أن الرسول وبالفعل فقد شهد الرسول للمسيح عيسى بن مريم الذي جاء ذكره في القرآن الكريم كثيراً مقروناً بكلمة الله والكلمة التي ألقاها إلى مريم عليها السلام .

في أعمال الرسل يقول القديس بطرس^(٢٥) "فإن موسى قال للأبنا إن نبيا مثلي سيقم لكم الرب إلهكم من إخوتكم ، له تسمعون في كل ما يكلمكم به " ، ثم يقول في موضع آخر^(٢٦) : " هذا هو الحجر الذي

مكانة الكعبة الشريفة في قلب العرب قبل الإسلام .. تقديس وتعظيم

استطلاع رأي إعداد /رحاب أسامة*

عرف العرب حرمة الكعبة منذ رفع إبراهيم قواعدها ، فعظموها وجعلوها حرماً آمناً ، ومثابتهم ومحجهم ، وقد توجهنا إلى نخبة من علماء الإسلام ، نستطيع آراءهم في هذه المكانة :

الدكتور مصطفى الشكعة عضو مجمع البحوث الإسلامية:

قال في القرآن الكريم إن الكعبة الشريفة هي أول بيت لهداية البشر ومن دخلها كان آمناً ، بل إن الله جعلها بيته ليحج له المسلمون فهي أول بيت وضع للناس كما أنها أولى المقدسات لدى الملائكة والرسل وأنبياء الله فهي أول بيت مبارك وهدى للعالمين وفيه آيات بينات وهي مقام إبراهيم ، والعرب قبل الإسلام كانوا يطوفون بالكعبة ولا يزال المسلمون حتى الآن يطوفون بالكعبة ويوجد باب لمقام إبراهيم ، وقد حاول آل سعود أن يزيلوا هذا المقام لأنه يصنع زحماً للذين يطوفون حول البيت ، ولكن العلماء منعهوم بناء على هذه الآيات ، ولقد كانت الكعبة قبلة العرب قبل الإسلام يحجون إليها على فطرتهم وكانوا يقدسون أصناماً ، ويقدمون لله أنبياءه كسيدنا إبراهيم وإسماعيل والأنبياء الحجازيين مثل نبينا صالح عليه السلام بتطهير الكعبة من هذه الأصنام ، ولم يكن العرب قبل الإسلام يضعون الأصنام داخل الكعبة وحولها إلا احتراماً لها ، ل إن ذلك يعني أن الكعبة مقدسة عند العرب خاصة أن سيدنا إبراهيم دُفن بالكعبة .

الدكتور عبد الصبور شاهين المفكر الإسلامي الكبير:

الكعبة المشرفة أول بيت وضع للناس مباركاً وهدى للعالمين ومن دخله كان آمناً ، كما إنها البيت الذي يحج إليه العالمون وتلك أهم إشارة للبيت الحرام ، التي رأى العرب أنها بيت عبادتهم ، وقد حطم الرسول "ص" الأصنام التي حولها والتي قدسها العرب وعظموا بها الكعبة لأنهم رأوا أن رب هذا البيت هو الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ، وذلك يعني أن الكعبة الشريفة مكانة اقتصادية بالإضافة لمكانتها الدينية ، ولقد أثبتت الأبحاث أن الكعبة الشريفة تقع في المحور بالنسبة لليابسة ، أي أن الكعبة في مركز الأرض حتى تصل رسالة محمد "ص" لكل الجهات ، والغريب أن صور سفن الفضاء أثبتت أن الكون يتحول إلى الظلام شديد وذلك ما قاله سبحانه وتعالى " وأية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون " ، وفي سورة النازعات قال تعالى : " أنتم أشد خلقاً أم السماء بناها رفع سمكها فسواها أغطش ليلها وأخرج ضحاها " ، وعندما صعد رواد الفضاء وسط الظلام الحالك رأوا شعاعاً ضوئياً يصد من الأرض ومصدره مكة وتتبعوه في مكة فوجدوه صادراً عن بيت الله الحرام ، حتى الحمام والطيور تلف حول البيت ولا تطير فوقه فالطيور ترى ما لا نراه ، فالكعبة مركز الأرض والدوران والطواف يبدأ من هذا المركز .

الدكتور محمد الجيوشي عميد كلية الدعوة الأسبق:

الكعبة الشريفة بناها إبراهيم وإسماعيل فقال تعالى: " ربنا وتقبل منا وأرنا مناسكنا " وذلك يعني أن سيدنا إبراهيم بنى الكعبة في مكة حيث نشأ سيدنا إبراهيم ، وتربي ، وتعتبر الكعبة أثراً من آثار سيدنا

وبذلك يتضح أن بركة الله في اسحق ونسله كانت مرحلية محدودة حيث جعل الله تعالى سلسلة من الأنبياء من نسل اسحق ليمهدوا الطريق ويهيئوا العقل الإنساني لاستقبال رسالته النهائية للناس جميعاً على يد النبي محمد (ص) من النسل الإسماعيلي لإبراهيم الخليل ، وهو النسل الذي تكاثر كثيراً ، وتباركت الأمم في دعوة إبراهيم من نسله الإسماعيلي .

إن الأرض المقدسة استقبلت كل الرسالات ، وكانت الكعبة هي رمز التوحيد لكل هؤلاء الرسل جميعاً ، وكان الحج هو الوسيلة لتأكيد رمزية مكة كمكان مقدس مرتبط بالوجود الإنساني الفاهم للتوحيد ، وليجمع كل أصحاب رسالات السماء المنبثقة من دعوة أبي الأنبياء ، ولذلك وجدنا لها ذكراً في الكتاب المقدس ، وهو ذكر عظيم مبارك .

مصادر البحث

- ١- عباس العقاد - أبو الأنبياء إبراهيم - كتاب اليوم - القاهرة - ١٩٥٣ - ص ٢٣٢ .
- ٢- سفر التثنية / ٣/٢٣ .
- ٣- إبراهيم خليل أحمد - محمد في التوراة والإنجيل والقرآن - مكتبة الوعي العربي - القاهرة - بدون تاريخ - ص ٣٦ .
- ٤- سورة التين .
- ٥- سفر التكوين - ١٦ .
- ٦- تكوين : ١٧/٢١ - ٢١ .
- ٧- سفر العدد : ١٠/١٢ .
- ٨- سفر العدد : ٣/١٣ .
- ٩- سفر حقوق : ٣/٤ - ٣ .
- ١٠- تكوين : ١٦/١٢ - ١٨ .
- ١١- تكوين : ١٧/٣ - ١١ ، ٢٦/٢٣ .
- ١٢- تكوين : ١٢/٢٥ .
- ١٣- سفر أشعيا : ٦٠/١ - ٢ .
- ١٤- سفر أشعيا : ٤٢/١٢ .
- ١٥- سفر دانيال : ٣/١٢ - ٣٥ .
- ١٦- محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ، ورغم تحفظنا على بعض الممالك التي ذكرنها مؤلف الكتاب ، لكن من الضروري القول أن المستقبل في الكتب المقدسة عموماً لا يأتي واضحاً ، ولكنها رموز يفهمها الراسخون في العلم فضلاً عن الأنبياء .
- ١٧- سفر التثنية : ١٨/١٥ .
- ١٨- سفر التثنية : ٨/١٨ .
- ١٩- انجيل متى : ٢١/٤٢ - ٤٣ .
- ٢٠- انجيل متى : ٢٤/٢٤ .
- ٢١- متى : ٢٣/٣٧ - ٣٨ .
- ٢٢- انجيل برنابا : ٨٢/١٦ - ١٨ ، والكنيسة لا تعترف بإنجيل برنابا رغم أن أول من ترجمه هو الأستاذ خليل سعادة إلى اللغة العربية ونشرت دار المنار لصاحبها محمد رشيد رضا الإنجيل ، وبسبب عدم اعتراف الكنيسة به لم يتداول ، ولأن أهل مكة أدري بشعابها فقلنا نأخذ منه ما يؤكد وحدة الدين الإلهي كغيره من الأنجيل والتوراة ، دون الخوض النقاش الجدلي في العقائد .
- ٢٣- انجيل يوحنا : ١٢/١٢ - ١٣ .
- ٢٤- انجيل يوحنا : ١٥/٢٦ .
- ٢٥- أعمال ارسل : ٣/٢٢ .
- ٢٦- أعمال الرسل : ١٤/١١ - ١٢ .
- ٢٧- سفر حزقيال : ١٧/١٣٦ - ٢٠ .
- ٢٨- سفر العدد : ١٥/١٦ .

من الناس ، وكانت قريش تهاب هدم الكعبة وذلك خشية أن يحل عليهم سخط الله ، وليس أدل على عظمة مكة لدى القبائل العربية بعد أن تم تقسيم العمل بين القبائل وتولت كل واحدة جزء من بناء الكعبة ، وأن لما بلغ النبيان موضع الحجر إلى موضعه بل كادوا يقتتلون فيما بينهم حتى اقترح عليهم رسول الله (ص) بأن يحضروا ثوباً ووضع الحجر في وسطه وقال لهم : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثواب ثم ارفعوه جميعاً .. ففعلوا فلما بلغوا به موضعه أخذه بيده الشريفة ووضعها في مكانه ولما كانت قريش قد عزمتم على بناء الكعبة من حلال أموالها فقد جمعت لهذا الأمر ما استطاعت لبناء الكعبة من المال الحلال فقط لذلك بنوها ناقصة عن بناء إبراهيم كما يروى البخاري في صحيحه عن النبي (ص).

الدكتور عبد العظيم المطعني المفكر الإسلامي المعروف :

الإسلام ورث تعظيم الكعبة من المجتمع الوثني فقال تعالى في سورة آل عمران : " ومن دخله كان آمناً " ، وفي سورة المائدة قوله تعالى : " جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس " وقد عرف العرب أكثر من كعبة ، وعلى الرغم من وجود " ٢١ " كعبة قبل الإسلام في جزيرة العرب فإن القبائل العربية أجمعت على تقديس "كعبة مكة" وحرصت أشد الحرص على الحج إليها ، يستوي في ذلك من القبائل من كانت لديه كعبة مثل قبيلة "غطفان" ، بل كان هناك عرب يهود ونصارى يشاركون في موسم الحج للكعبة ، ومن شدة تقديسهم للكعبة أن الرجل منهم كان يرى قاتل أبيه في البيت الحرام فلا يسمه بسوء !! ولقد تحولت مكة بفضل البيت الحرام أو الكعبة إلى أكبر مزار ديني تؤمها كافة القبائل وكان داخل الكعبة وحولها ٣٦٠ صنماً لا تخص القريشيين وحدهم بل كل القبائل حتى إن صورة مريم العذراء وابنها المسيح كانت معلقة داخل الكعبة ، وذلك يعني أن موقع الكعبة كان عظيماً في الوجدان العربي والإسلام ولم يتبدل مع ظهور الإسلام ، فكل شيء بقي على حاله ما عدا إزالة الأصنام والتوجه بالعبادة إلى الله بشكل تجريدي خاصة أن الحج هو الركن الخامس من الإسلام ، حيث قال تعالى في كتابه العزيز " والله على الناس حج البيت ومن استطاع إليه سبيلاً " فالعرب قبل الإسلام كانوا يحجون إلى البيت الحرام وكانت لكل قبيلة تلبية خاصة بها وكان تعظيم الكعبة والحجر الأسود من عادات العرب في الجاهلية ، كما كان للطواف شأن عظيم في الشعائر الدينية عند العرب القدماء وكان العرب في الجاهلية يقومون بذات الطقوس والمناسك وهي : التلبية والإحرام وذبح الهدى ، والوقوف بعرفة والدفع إلى مزدلفة ، والتوجه إلى منى ، والطواف بالكعبة وتقبييل الحجر الأسود والسعي بين الصفا والمروة ، وكلمة "الحج" مأخوذة في الأصل من كلمة "الحك" بل كان العرب يمارسون في الحج طقساً غريباً وهو الاحتكاك بالحجر الأسود ، وهناك رواية إسلامية تذكر أن الحجر الأسود كان أبيض ولكنه أسود من مس الحيف في الجاهلية أي أنه كان أحد الطقوس لدى الجاهلية تؤذيها النساء في الحجر ، بمس الحجر الأسود بدماء الحيض اعتقاد منهم أن دم الحيض هو سر الميلاد وتعظيماً منهن للكعبة .

الدكتورة فتحية النبراوي أستاذة السيرة النبوية :

مكانة الكعبة عند العرب ومهابتها عندهم من تخوفهم الشديد من هدم الكعبة وإعادة ترميمها ، حتى ولو كان بغرض إعادة بنائها ، بل إن العرب في الجاهلية من شدة تقديسهم للكعبة كانت تنفرد قريش بالعمل لترميم الكعبة وفق مفاهيمهم وتصوراتهم بدفع باب البيت حتى لا يدخله إلا من شاءوا ، وعلى النقيض كان الرسول "ص" أمينته إعادة

إبراهيم ، ولذلك كان لها مكانتها عند العرب وكانوا يحجون إليها لأنهم يتبعون سيدنا إبراهيم وظلوا يقدسون الكعبة بالطواف حولها ، وعندما قررت قريش إعادة بناء الكعبة بناء متين يصمد أمام السيول وأجمعوا أمرهم على ذلك وقف فيهم عائذ ابن عمران فقال : " معشر قريش لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيباً فلا يدخل فيها مهر بغى ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس " وكانت القبائل العربية القديمة تهاب هدم الكعبة خشية أن يحل عليهم سخط الله وذلك لا يدل إلا على عظمة مكة لدى القبائل العربية .

الدكتور عبد المعطي بيومي

عميد كلية أصول الدين الأسبق :

الكعبة بيت الله منذ أن بنته الملائكة وهناك اعتقاد بأن الملائكة تتعبد فيه وأن سيدنا نوح كشف قواعده ، ولقد كان العرب يقدسون الكعبة ويعبدون الأصنام لتقديسهم الكعبة لأنها رمز لبيت الله ، كما أن مكة المكرمة والكعبة لها مكانة سياسية وتجارية ، لأن بها تجتمع مختلف القبائل من مختلف الأديان لتحتج للأصنام الموضوعة حول الكعبة ومع استقبال قريش لهذه القبائل كان لهم الزعامة والمكانة السياسية التي خلقتها هذه المكانة الدينية ، كما أن كثيراً من القوافل التجارية كانت تأتي مع مواسم الحج وبالتالي كان العرب مسؤولين عن تنظيم الحج للكعبة والأنشطة التجارية التابعة لموسم الحج ، بالإضافة لمسئوليتهم عن العناية ببناء الكعبة ، فأكثر من مرة تصدع بناء الكعبة نتيجة لكثرة السيول ، وكثير من القبائل اهتمت برعاية بناء الكعبة بداية من قبيلة العماليق وجرهم ونهاية بقريش .

الدكتور صبري عبد الرؤوف

أستاذ الفقه بكلية الدراسات الإسلامية جامعة الأزهر :

الكعبة هي بيت الله الحرام وقبله المسلمون وقد جعلها الله مناراً للتوحيد ورمزاً للعبادة فقال تعالى : " جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس " ، وهي أول بيت وضع للناس بركة مباركاً وهدى للعالمين ، وللكعبة المشرفة تاريخ طويل مرت فيه بمراحل عديدة حيث يبدأ تاريخها في عهد نبي الله إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام حين أمره الله بأن يسكن مكة هو وأهله وكانت مكة صحراء قاحلة وبعد الاستقرار في مكة وبلوغ إسماعيل عليه السلام أذن الله تعالى لهما ببناء الكعبة ورفع قواعدها حيث يقول الله تعالى : " وإذا رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا " ، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني وارتفع البيت شيئاً فشيئاً حتى أصبح عالياً لا تصل إليه الأيدي ، عندها جاء إسماعيل عليه السلام بحجر ليصعد عليه أبوه ويكمل عمله واستمر على ذلك وهما يقولان " ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم " ، وكانت لمكة المكرمة مكانة عظيمة في قلوب العرب ، فبعد أن استقرت بعض القبائل العربية في مكة من " العماليق " و"جرهم" وتصدع بناء الكعبة أكثر من مرة نتيجة لكثرة السيول ، بدأت هاتان القبيلتان في رعايتها وإصلاحها وبعدها أصبحت قريش هي المسؤولة عن العناية ببناء الكعبة وذلك قبل البعثة بسنين ، ودليل على عظمة مكانة الكعبة عند العرب قديماً أن الكعبة كانت عبارة عن حجارة منضودة موضوعة فو بعضها من غير طين ، مما جعل السيول التي تجتاح مكة بين الحين والآخر تؤثر على متانة الكعبة فأضعفت بناتها وصدعت جدرانها حتى كادت تنهار ، فقررت قريش إعادة بناء الكعبة بناء متيناً يصمد أمام السيول ، ولما أجمعوا أمرهم على ذلك وقف فيهم عائذ ابن عمران وقال : " يا معشر قريش لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيباً فلا يدخل فيها مهر بغى ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد

السماء والأنبياء حجوا إليها والملائكة تطوف بها ، كان العرب يعتقدون أن النظر للكعبة عبادة ومحض الإيمان قبل دخول الإسلام ، وقد قال الإمام الشافعي إن الجلوس تجاه الكعبة يجلو البصر ، كما حظيت الكعبة بمكانة عظيمة عند العرب قبل الإسلام لإيمانهم أن الذي بني الكعبة هم الملائكة ، أو آدم عليه السلام ثم سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وتولت أمرها بعد ذلك قبيلة "جرهم" التي تزوج منها سيدنا إسماعيل ثم بعدها قبيلة خزاعة والتي أجلت جرهماً من مكة وتولت أمر البيت لـ "٣٠٠" عام حتى أخرجها قصي بن كلاب المعروف " بقريش الأكبر " وبعد ذلك بنتها قبيلة في العام الخامس قبل بعثة سيدنا محمد "ص" .

الدكتورة كوثر المسلمي

رئيس قسم الحديث بكلية الدراسات الإسلامية:

العرب قدسوا الكعبة قبل دخول الإسلام فلقد كان العرب يضعون أصنامهم حولها وكنوزهم ومنعوا الدخول إليها تعظيمًا للبيت فقد كانت تأتي الكعبة وعلى مر العصور والأزمان الكنوز والهدايا والأموال والطيب ، بل إن سيدنا محمد "ص" عندما فتح مكة ودخل الكعبة وجد في خزينتها "٧٠" ألف وقية من الذهب فلم يأخذها أو يتصرف فيها وكذلك فعل الخلفاء الراشدون .

من تعظيم العرب للكعبة أنهم كانوا يخالفونها في البنيان ولا يستطيلون عليها ، كما كانوا يعقدون الاتفاقيات ويتحالفون فيها بل أن المعلقات السبع كانت معلقة بالكعبة وذلك أن العرب إذا كتبوا قصيدة فإنهم يعلقونها بالكعبة تعظيمًا لشأنها وظهرت المعلقات السبع وعندما انتشر أمر الإسلام وقاطعت قريش بني هاشم وحاصرتهم في الشعب وضيق عليهم ، كتبوا ذلك في صحيفة الأبييوعا أو يشتروا أو يتزوجوا من بني هاشم ما لم يترك سيدنا محمد "ص" دعوته أو تسلمه بني هاشم لقريش لتقتله ، ووضعوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم فكان كاتب الصحيفة "النفر بن الحارث" فدعا عليه رسول الله "ص" فأصابه شلل في أصابعه وقد أكلت "الأرضة" هذه الصحيفة .

بناء بيت إبراهيم وإنزال مستوى الباب ليكون في إمكانية الجميع الدخول والخروج منه ، كما إن قريشاً كانت تقصى المال الحرام الناشئ من ظلم الناس والربا ولا تضعها في إعادة بناء الكعبة ، فكانت تضع بياناً يوضح حجم المال الحرام والتعاملات المالية التي تشوبها الحرمة ولا تدخلها في إعمار الكعبة ، وتأتي هذه المكانة العظيمة في قلوب العرب للكعبة الشريفة لأن الذي قام ببناء الكعبة هم الملائكة بأمر الله ، وهو الذي جعل سحابة تُظل إبراهيم وإسماعيل وتحدد لهما حدود البيت الذي رفعه قواعده فإذا الكعبة على هيئة غرفة وبجوارها من حدها الشمالي نصف دائرة "حجر إسماعيل يحيط به جدار بارتفاع متر وثلاثين سنتيمتر وسمك متر ونصف ، وذلك يودع في الإنسان شحنة روحية ولذلك يشتد أثناء طوافه حول الكعبة كلما اقترب منها ، ويقل في شدته كلما ابتعد عنها ، وشدة هذا المجال تكون أقوى كلما كان عدد الطائفين أكثر ، وهذا المجال الروحي حول الكعبة لا ينشأ فقط من طواف الناس وإنما ينشأ من طواف الملائكة أيضاً حيث يطوف حول البيت ألف ملك لا يتقطعون أبداً أي أن البيت يطوف حوله كل يوم ٧٠ ألف ملك وهذا المجال الروحاني يؤثر على من يطوف بالكعبة ولذلك كانت الصلاة في بيت الله الحرام بمثابة ألف صلاة في سواه لأن قرب الإنسان من ربه بالمسجد الحرام أقوى كثيراً من أي مكان آخر ، ولذلك فالكعبة والبيت الحرام بمكة مكان للاستشفاء الروحي والنفسي من تدير الخالق وهندسته ، فهو أول بيت وضع للناس وهو بيت الله الحرام من دخله كان آمناً .

الدكتور محمود الحنفي عضو لجنة الإفتاء بمشيشة الأزهر :

موسم الحج عند العرب في الجاهلية والاستعداد له ساعد شبه الجزيرة العربية على القضاء على حالة التفكك السياسي حين كانت لا توحدها دولة ولا تديرها حكومة ، كما كانت المدينة في حالة نزاع دائمة بين الأوس والخزرج ولكن موسم الحج كان هدنة لحقن الدماء ومحاولات لوقف هذا النزاع وعمل استقرار سياسي ، واستغلال الاقتصاد الرعوي ، حيث إن القبائل العربية استقرت في الأماكن التي يتوافر فيها الماء وتصلح لرعي الإبل والأغنام والماعز ، ولذلك غلب على مكة النشاط التجاري لأنها تقع بوادٍ غير ذي زرع وتتحكم بطرق التجارة بين اليمن والشام حيث تمر القوافل محملة بالتوابل والبخور والعطور ، كما تمثلت مكانة الكعبة الدينية عند العرب في حماية قوافلها التجارية وعقد "الإيلاف" مع القبائل التي تجتاز ديارها في رحلة الصيف إلى الشام ورحلة الشتاء إلى اليمن .

الدكتور جمال الدين محمود عضو مجمع البحوث الإسلامية :

الكعبة هي بيت الله الحرام في قلب مكة المكرمة ، وهي القبلة التي يحج إليها الناس والملائكة منذ أقدم العهود التاريخية فهي أقدم بيت وضعه الله تعالى للناس ، وكان أهل مكة يعظمون هذا البيت حتى إنهم لم يكونوا يستطيلون عليه في البناء وكانوا يبنون بيوتهم على الشكل الدائري تعظيمًا لرباعية الكعبة ، وأول من بني بيتاً مربعاً في مكة هو حميد بن زهير فخافت قريش وقالت " رفع حميد بن زهير بيتاً فإما حياة وإما موتاً " ، وتظهر عظمة الكعبة المشرفة لأنها مبنية من سبعة وعشرين مدمكاً من الصخور الجبلية ، بل إن سيدنا إبراهيم عليه السلام بني الكعبة من صخور خمسة جبال هي "حراء ، ثبير ، الخير ، لبنان وهي من جبال مكة ، وجبل الطور بصحراء سيناء " وفضائل وشرف الكعبة المشرفة لكونها أول بيت لله بناها الملائكة والأنبياء وشارك سيدنا "ص" في ترميمها في العام الخامس قبل البعثة المشرفة ، ولأن الكعبة تناظر البيت المعمور أو كعبة الملائكة في

